



# الإخوان المسلمون

13 فبراير 2016

**للأستاذ عبد السلام ياسين، المرشد العام لجماعة "العدل والإحسان"**

طوبنا الحديث طيا، وأوجزنا إجازاً مُخلا. ومن حق رجالنا تحت راية دولة القرآن أن يحتلوا الصدارة إلى جانب الصحابة والتابعين في ميادين الإعلام، وضرب الأمثال، والتذكير بالأبطال.

تحت راية القرآن يجب أن نزيل الاحتلال الثقافي الذي يملأ أفقنا بنمجيدي مفكري الجاهلية وقادتها، ونعيد ذكرى علمائنا ومصلحينا وأئمتنا، فهم الامتداد الحي لصاحب الرسالة ومعين الكمال محمد صلى الله عليه وسلم.

تُبرز هنا وجهها مُشرقاً من وجوه الدعوة في عصرنا بل في كل العصور، هو الشيخ الإمام حسن البنا رحمه الله. عاصره فطاحلُ الدعاة أمثالُ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس حركة رجال الدعوة والتبليغ، والشيخ بديع الزمان سعيد النورسي أب الحركة الإسلامية في تركيا، وكلاهما من أهل التربية والذكر.

للسيد الجليل محمد إلياس الفضل في انتشار الإسلام في الهند وسائر بقاع المعمور على يد رجاله الذين يذكروننا بالصحابة رضي الله عنهم في الصبر على مشاق الدعوة، وفي حمل كلمة الهداية في حواضر المعمور وبواديها. ولئن كان أسلوبهم يفضّر عن التعبئة الجهادية وما تقتضيه من إعداد قوة العلم والتنظيم فمرّد ذلك إلى ظهورهم في بلد المسلمين فيه أقلية مضطهدة.

وللشيخ بديع الزمان النورسي فضل إحياء الدعوة تحت قهر الطاغوت أتاتورك وحزبه. نشر العلم وربى الرجال في ظروف عصيبة، مختفياً نارة مرتحلاً أخرى لا يَمَلُّ ولا يَبِي.

وعاصر البنا مفكراً ثاقب النظر من علمائنا، هو أبو الأعلى المودودي. استنقادت جماعة "الإخوان المسلمين" من مؤلفاته القيمة. وترك المودودي رحمه الله تنظيمًا واسعاً في باكستان والهند يرحى أن يجمع الله على يديه كلمة أهل الحق. وغير هؤلاء دعاة ومربيون في أقطار الإسلام المباركة. ويبقى الإمام البنا عُرّة في جبين الدعوة بما جمع الله فيه من خصال الخير. فإن نظرت إلى خشوعه وتبئله وروحانيته فهو قَبَسٌ من المشكاة النبوية. وإن نظرت إلى علمه وسعة أفقه فهو إمام سنيّ ومعلم عبقريّ. وإن نظرت إلى شجاعته في الحق وهيبته في صدور من عاشروه فهو أسد من أشدّ الله. ناهيك عن فصاحته وحكمته وأدبه وصبره. رحمه الله رحمة واسعة.

كان المصحف والسيف، السلطان والدعوة، مفترقين في فكر المسلمين منذ أن تخاصم السلطان والقرآن وتقاتلا في عهود الملك العاص، مفترقين في الحياة العملية للمسلمين. والبنا رحمه الله من القلائد الذين اجتمع في تصوره القرآن والسلطان. لم يجد في زمانه من الرجال المكتملي النضج إلا القليل ممن أدركوا مَذْرَكَهُ، فعمد إلى تربية نشء جديد لا يَفْصِلُ بين التربية الإيمانية القلبية وبين الدراية الفكرية، ولا بين المسجد وساحة القتال، ولا بين العبادة والسياسة، ولا بين التبتل وترويض الأجسام وحمل السلاح.

وجد الإمام الخميني جهازاً قائماً لحمل دعوته، ونضّر قضيته، ممثلاً في عشرات الألوف من علماء المسلمين خريجي الحوزات الدينية المستقلة إدارياً، الغنية مالياً بأموال الخُمس. ولم يكن من بين هؤلاء العلماء إلا قلة يميلون للسلطان ويخدمونه. أما في جانبنا، فزيادةً على التدهور العظيمة الذي أصاب الأزهر وسائر معاهد العلم، فإن ذهنيّة مُسَالَمَةِ الحاكم كانت القاعدة. فما

وسِعَ الإمامُ البنا إلا أن يبدأ من جديد صياغة جند يحمل الرسالة وينصر الدعوة. ولئن اغتالته الأيدي الأثيمة قبل أن يُكَمَّلَ جهاده ويرى إِمَارَ ما عرس، فإن آثاره العلمية وخاصة رجاله الذين ربَّى وتعهد ووجَّه بَنُوًا روحاً جديدة في الأمة، تبارك الله ما أوسع وأسمى. نَصَّرَ الله وجهه كما نصر وجه المسلمين، ونصر وجوه دعاة الخير من السابقين واللاحقين. آمين.

قال أبو الحسن الندوي أحد رجال الدعوة البارزين من أهل القرآن والإحسان عن الحسن البنا: "وقد تجلت عبقرية الداعي مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها في ناحيتين خاصتين لا يشاركه فيهما إلا القليل النادر من الدعاة والمربين والزعماء والمصلحين (قال في الهامش: وكان من هذا القليل النادر الشيخ محمد إلياس الدهلوي منشئ دعوة التبليغ وحركتها في الهند ونجله وخليفته الشيخ محمد يوسف المتوفى قريباً رضي الله عنهما وأرضاهما فقد كانا مثاليين فذيين في هاتين الناحيتين كلتيهما).

أولاهما شَغَفُهُ بدعوته، وإيمانه واقتناعه بها، وتغايه فيها، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله. وذلك هو الشرط الأساسي، والسَّمَّةُ الرئيسية للدعاة والقادة الذين يُجري الله على أيديهم الخير الكثير.

والناحية الثانية تأثيره العميق في نفوس أصحابه وتلاميذه، ونجاحه المدهش في التربية والإنتاج. فقد كان منشئ جيل، ومرَبِّي شعب، وصاحب مدرسة علمية فكرية خُلُقِيَّة. وقد أُنزِرَ في ميول من اتصل به من المتعلمين والعاملين، وفي أذواقهم، وفي مناهج تفكيرهم، وأساليب بيانهم، ولغتهم، وخطاباتهم، تأثيراً بقي على مر السنين والأحداث. ولا يزال شِعَاراً وِسْمَةً يعرفون بها على اختلاف المكان والزمان" [1].

وكتب عنه مفتي القدس محمد أمين الحسيني رحمه الله: "بينما كان الملاحدة ودعاة الإباحية ومروجو الفكرة الشعبوية (القومية العلمانية) يهاجمون الإسلام، وينشرون سمومهم وضلالاتهم في مختلف الأوساط في الأقطار المصرية والعربية، وبخاصة بين طلبة الجامعات والمعاهد العليا، برز المرجوم (إن شاء الله) الشيخ حسن البنا في وسط الشعب المصري المؤمن كما تبرز الشمس من بين السحب الداكنة، داعياً أمته وبلاده والمسلمين جميعاً إلى العمل بالقرآن الكريم، وتطبيق أحكامه السامية، وآدابه الرفيعة، والاستمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في كل شأن" [2].

وكتب سيد قطب رحمه الله: "وعبقرية البنا (تتجلى) في تجميع الأنماط من النفوس ومن العقليات ومن الأعمار ومن البيئات. تجميعها كلها في بناء واحد (...)، وطبعتها كلها بطابع واحد يُعرفون به جميعاً، ودفعها كلها في اتجاه واحد، على تباين المشاعر، والإدراكات، والأعمار، والأوساط، في رُجُع قرن من الزمان" [3].

وكتب الأستاذ محمد الغزالي متحدداً عن الإمام البنا: "لقد عاد القرآن غصنا طرباً على لسانه، وبدت ورائته النبوة ظاهرة في شمائله. ووقف هذا الرجل الغد صخرةً عاتيةً أنحسرت في سفحها أمواجُ المادية الطاغية. وإلى جانبه طلائع الجيل الجديد الذي أفعم قلبه حُبًّا للإسلام واستمسكاً به (...). لقد عاش على هذه الأرض أربعين عاماً، لم يَبِثْ في فراشه الوثير منها إلا ليالي معدودة. ولم تره أسرته فيها إلا لحظاتٍ محدودة، والعمر كله بعد ذلك سياحةً لإرساء دعائم الربانية، وتوطيد أركان الإسلام، في عصر غفل فيه المسلمون، واستيقظ فيه الاستعمار" [4].

أبن تَرَبَّى هذا الرجلُ الغد الذي أفعم أسمعاً العالم ببناء الإسلام، وجمع الله حوله القلوب، وغير به الأفكار و"عاد القرآن غصنا طرباً على لسانه"؟ تعلم على أبيه العالم المحدث، وتعلم في المدارس ككل الناس. لكن التربية القلبية التي تُرسخ الإيمان، وتسمو بالروح لمعارج الإحسان، تلقاها على يد أهل الطريق، كما تلقاها الغزاليُّ وما لا يُحصى من علمائنا العاملين. وقد أدى رحمه الله أمانة الشهادة لأهل الذكر بأنهم معدنُ الفضل، ووصف دعوته بأنها "حقيقة صوفية" وجعل من المُنجيات محبة الإخوان وذكر الوظيفة.

كتب رحمه الله في مذكراته: "سألتُ عن مُقَدِّم الإخوان (الصوفية الحصابيين) فعرفت أنه الرجل الصالح النقي الشيخ بسبوني العبد التاجر. فرجونه أن يَأَدِّنَ لي بأخذ العهد عليه ففعل (...) وجزى الله عنا السيد عبد الوهاب فقد أفادني صحبتُه أعظمَ الفائدة" [5]. يقول هذا رجل لا يعرف التزديد في الكلام.

وانتقد رحمه الله ما علقَ بالتصوف من أذعياء وما ظهر فيهم من بَدَعٍ وخرافات. لكنه نصح الأمة كما نصح الغزاليُّ إذ قال: "وهذا القسم من علوم التصوف، وأسميه "علوم التربية والسلوك"، لا شك أنه مِنْ لُبِّ الإسلام وصميمه. ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها، والطبُّ لها، والرُّقِيَّ بها، لم يبلغ إليها غيرهم من المربين" [6].

واقراً نقده الصريح، نقد خبير، للفلسفة الدخيلة، وخلط الدين بما ليس منه، وفتح الثغرات بذلك للزندقة والإلحاد وفساد العقيدة. واقراً نصيحته بوجوب التدقيق في هذا الأمر لاختلاط الصادقين بالموهين والمحترفين والأدعياء طلاب الدنيا بمظاهر الصلاح في "مذكرات الدعوة والداعية".

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد.

